



القديس مارون

المراجع التاريخي

إن المراجع التاريخي الوحيد الذي يفيدنا عن حياة القديس هو "التاريخ الديني" لتيودوريطس، أسقف قورش، الذي كتب في حدود سنة ٤٤٠ والذي فيه يسرد سيرة نساك القورشية وضواحيها. والفصل السادس عشر من هذا الكتاب يتضمن تفاصيل واسعة عن حياته الروحية وتأثيرها الذي لا يحى عن تلاميذه.

الموقع الجغرافي

القورشية حيث عاش مار مارون، تقع في سوريا الشمالية. التنظيم الروماني في ذلك العصر، كان قد قسم منطقة سوريا إلى ثلاثة أقسام: سوريا الأولى أو الجوفّة وعاصمتها انطاكية، وسوريا الثانية وعاصمتها أفاميا، وسوريا الثالثة أو الفراتية وعاصمتها منبج أو هيرابولس.

المناطق الواقعة في جنوب أفاميا، تمتد حتى الحدود الجنوبية اللبنانية، وتقسم إلى قسمين: الفينيقية اللبنانية، مع حمص ثم دمشق عاصمة، والفينيقية البحرية مع صور عاصمة. أبرشية القورشية التي كان على رأسها الأسقف تيودوريطس، تمتد إلى الغرب.

إن مسافة سير يومين تفصل مدينة قورش الواقعة شمال شرق إنطاكية، ٧٠ كيلومتراً عن مدينة حلب. لو عدنا إلى المؤرخ تيودوريطس القورشي، فإن مار مارون اختار أن يعيش حياة النسيك، لذلك اعتلى جبلاً قاحلاً يسمى جبل نابو (نسبة إلى الإله الوثني نابو)، والقرية المجاورة كانت تعرف باسم كفر نابو.

الحياة المثالية

القديس مارون كرّس الهيكل الوثني لعبادة الإله الواحد. وعلى مثاله تكرّس الكثيرون من تلاميذه للصلاة والبعض الآخر استحسب في قمم الجبال عائشين في المغاور بغية الاتصال بالله وقد ذهبت شهرة قداسته بعيداً، إلى حد أن القديس يوحنا فم الذهب أرسل له رسالة حوالي العام ٤٠٥، مظهراً احترامه للقديس، وطالباً منه الصلاة لأجله.

حسب الأسقف تيودوريطس، فإن مار مارون قد توفي حوالي العام ٤١٠، فأوصى في آخر أيامه بأن يدفن في قبر القديس زابينا، قاصداً البرهان على إعجابه بفضائل الشيخ الراحل. وما إن فاضت روحه، حتى تزاحمت على جثته الجماهير المتقاطرة من القرى العديدة، وكل جمهور يود لو اختطف الجثمان، ليدفنه في قريته تبرّكاً. وكاد النزاع يؤدي إلى العراك، حتى ظفر أهل القرية من جنوبي القورشية بعد أن فرقوا الجماهير واستولوا على جثمانه ودفنوه في قريتهم. وحصدوا منه الفوائد بتكريم هذا المنتصر بعيد شعبي. ويبدو أن القرية المذكورة هي قرية باراد القريبة من كفر نابو عاصمة تلك المنطقة. وفي مطلع القرن الخامس الذي يلائم تاريخ وفاته سنة ٤١٠، شيّدت كنيسة كبيرة وضع في داخلها قبر لحفظ ذخائر مار مارون. وفي التقليد الماروني إن تلاميذه نقلوا هذه الذخائر وخاصة جمجمته إلى دير مار مارون أو "بيت مارون" الذي شيّدت سنة ٤٥٢ بين حلب وحمّاه في سوريا الحالية.

هامة القديس

أعيدت الجمجمة، إلى لبنان، إلى دير كفرحيّ، في منطقة البترون، في بداية القرن السابع. يقول البطريرك الدويهي: "ولما استقر في كفرحيّ بين الهيكل والدير على اسم مار مارون وجعل هامته فيه وهي مانحة الشفاء. ومنها تسمى هذا الدير ريش موران، رأس مارون بسبب وضع هامته هناك". وأما هامة القديس مارون، فقد أخذها أحد رهبان القديس مبارك وكان رئيس دير الصليب القريب من مدينة فولينيو في إيطاليا لما حضر من الغرب في زيارة حج إلى الأراضي المقدّسة سنة ١١٣٠، وحملها معه إلى هذه المدينة حيث بنيت على اسمه كنيسة بالقرب من المدينة، لما ظهر منه من المعجزات، وكان الشعب كثير التعبّد له ثم إن أسقف هذه المدينة نقل سنة ١١٩٤ هامّة القديس مارون إلى كنيسة الكرسي الأسقفي الموجودة فيها. وضع المؤمنون تمثالاً صغيراً من الفضة يمثل صورة وجه القديس ووضعوا ذخائره في داخله.

ويقول المطران يوسف الدبس انه في خلال مروره بإيطاليا سنة ١٨٨٧ قدّم له مطران فولينيو ذخيرة
من هامة القديس.